الوردة... والكلمة!

حسبي فخراً انني سلختُ أكثر من ثلاثة وخمسين ربيعاً، وانا دائبٌ في خدمة الحق والعلم والأدب، بمنتهى الجِدّ والصدق والاخلاص.

من نافذتي في محجري المستجدّ، أرى شجيرة ورد جميلة في حديقتي بمدينة الحرف، تنبعث منها رائحة طيبة زكية. ولكنها منتصبة وحدَها، والأشواك قد ملأت جوانبها.

انها وحيدة، لا رفيقة لها او صديقة تنمو بجانبها على الرغم من جمالها، ونضارة أوراقها، ومظهرها اللطيف الرائع الجمال والحسن والطيبة.

سألتُ نفسي: كيف استطاعت هذه الشجيرة أن تعطينا هذه الروائح الطيبة الزكية والألوان الرائعة الجمال؟

أوقد كل يوم شمعة جديدة على مائدة الأدب المتعدّد المعاني والأبعاد، أعاهد الله كل يوم وكذلك قرّائي في الوطن والمهاجر، في قريتنا الكونية المحاصرة أكثر فأكثر، على إكمال مسيرتي بل رسالتي في رغبة صادقة وعزيمة وطيدة، وعندما يضطرني المرض إلى ترك القلم، أتركه نظيفا لم تلوّثه أمراض الأنا ولم تفسده مغريات وموبقات من هنا أو من هناك.

الكاتب الحقيقي هو مَن أُصيب بتلويثة الكتابة الإيجابية المنحى. يمضي في غمارها مهما جار الزمن وعظمت التضحيات، تماما كالجندي الذي يريد أن ينتصر لا يعرف الهزيمة، بل يقتحم الهول، ويخوض عباب المخاطر وينتزع غار الفوز أو غار الخلود.

الكتابة رسالة لا مهنة، وأصحاب الرسالات واصلون إلى بغيتهم طال الزمان أم قصر، بل ان أساسها معاناة ما، علماً بأن الكلمة مشتقة من لفظة «كلم» التي تعني «جرح» وخصوصاً الجرح الذي يكلم العرض والمبادئ العليا.

ممّا حبّبني بالكلمة والكتابة، ماسينا كلها، تماماً كما ان ما يحبّبنا بالوردة هو الشوك الذي يحيط بها.

فيا أيها الكتّاب بالقوة، إليكم الكلمة حتى لا تشوك شعبنا البائس من «مسؤوليهم» أشواك إضافية! ولا بدّ من أن ينبت وسط هذ الظلام رجاء. أنتم سرّ الوجود الذي يفيضه، الله وسط أشواكنا ليقيم الدليل على ان كينونتنا الشخصية والوطنية والإنسانية ليست في حيازة الأشياء ولكنها تعبر المعاناة ولا يُعقَل أن تذهب سدى!

فاكتبوا يرعاكم الله!

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه